علوم اللغة العربية ودورها في فهم النصوص القرآنية

إعداد

د/محمد حمدنا الله رملي

رئيس قسم الآداب – برنامج التربية

جامعة السودان المفتوحة

Shorog_2007@hotmail.com

00249907153584

مستخلص البحث

إنّ خير استثمار للغة العربية ماكان في القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، حيث إنّ كتاب الله الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} *فصلت42* وعاء لهذه اللغة العربية، لأنه حافظها من الانقراض ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ *الحجر9*، وتشرفت اللغة العربية بنزول القرآن بها﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ *يوسف2*، فالقرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ *الشعراء195*، لا يفهمه إلامن كان عالما وملمّا بعلوم اللغة العربية.

فالمؤلفات والمصنفات والتأليفات في ميادين العلوم الإسلامية تعتبر خير استثمار للغة العربية .

وقد كان علماء الإسلام القدامى على وعي كبير بعلوم اللغة العربية وتوظيفها في خدمة تأويل النص القرآني وفهمه، فعمدوا إلى تفسير القرآن، وتنوعت طرائق الاستنباط ووسائل الفهم والتأويل لديهم، كثرت المؤلفات في ذلك، كل ذلك لأجل إدراك مراد الله وفهم خطابه على نحو سديد سليم بعيد عن الانحراف والضلال.

وحيث إن اللغة العربية لغة العلم والمعرفة، فإن الدراسات والأبحاث تركز على الاستثمار في اللغة العربية وتوظيفها في كافة الميادين العلمية والمعرفية، وخاصة كتاب الله وسنة نبيه الكريم؛ لأن قراءة الحرف الواحد من القرآن الكريم تعدل عشر حسنات، كما جاء في السنة النبوية.

ويعد الاستثمار في اللغة العربية في ميادين العلوم الإسلامية من أهم مجالات الاستثمار ، لما يترتب عليه من عوائد علمية ومعرفية تخدم المجتمعات العربية والإسلامية ، وتعمل على تجسير الفجوة بينها وبين الأمم والمجتمعات المتقدمة، بالإضافة إلى دور المعارف والعلوم المعربة في إنتاج الكثير من المخرجات التي تعود بالنفع الاقتصادي والمالي على المجتمع.

وهذا الاستثمار في القرآن الكريم وعلومه يعود على صاحبه بالنفع المادي والمعنوي، لأنه يعتبر له صدقة جارية ينتفع بها ما دامت تخدم كتاب الله وسنة نبيه. وفي الحديث الشريف رواه مسلم: {إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له.} (رياض الصالحين، حديث رقم956)

وإنّ لعلوم اللغة العربية دورًا كبيرًا في فهم النصوص القرآنية، لأنه يستحيل علينا فهم هذه النصوص دون الإلمام بعلوم العربية، حيث ترتبط هذه العلوم العربية بالتفسير ارتباطاً وثيقاً، لأنها من أهم الأدوات التي يوظفها علم التفسير لفهم القرآن الكريم، حيث إنّ لعلوم اللغة العربية قيمةً كبيرة في تحليل النصوص؛ تتجلى في التراكيب الإعرابية والدَلاليَّة والبلاغية والجمالية.

Abstract

The best ever investment in Arabic language which is found in the Holy Quran and Islamic Sciences, hence is the God book (Holy book) which is (Falsehood cannot come to it from before it or behind it (it is) sent down by the All-Wise, Worthy of all praise (Allah عز وجل) is a resell for this language, which kept it from instinct ion(We have,without doubt, sent down the message,and We will assuredly guard it from corruption)

The Arabic language has the honors that the Quran is sent in this language (We have sent itdown as an Arabic Quran).

The Holy Quran is sent (In the plain Arabic Language), it is not understood except by those who are experts and those who are well versed in Arabic language sciences. The publishes from books and periodicals in the fields of Islamic sciences is considered a good investment in Arabic language.

The ancient experts of Islam were well aware of the Arabic language sciences and their usage in the service of the Quranic texts, they turned to the to the interpretation of Quran, they have had different method and means for understanding and interpretation, and there were a number of published books on this field, all this to understand what Allah says in the righteous way, away from diversion and being stray.

Since Arabic language is a language of science and knowledge, thus the studies and researches concentrate on the investment in Arabic language, and its usage in all scientific and educational domains, particularly the Holy Book and that of the prophet sayings, because the reciting of the only one letter in the Holly Quran equals to ten Hassanat, as it comes in the prophets sayings.

The investment in Arabic language in the field of Islamic sciences is considered one of the most important investment, since it yields scientic and educational out comes which serve the Islamic and Arabian societies, and it bridges the gap between these societies and the other nations, this is in addition to the educational institutions and the Arabicized sciences in producing a lot of outcome which helps in economical and materialistic benefits to the society.

This investment in the Holly Quran and its sciences comes to its possessor with materialistic benefit, because it is considers as a running source of alms, since it serves the aims of the Holly book and the prophets sayings. In the honorable sayings: which is mentioned by Muslim "If a human being dies his job stops except from three things, a

running alms, , and, and a good knowledge which he benefits from, and a good boy who asks God for him"

Arabic language has a pioneering role in understanding the Quranic verse and texts, because it is impossible for us to understand the texts without being aware of Arabic language, since there is great connection between Arabic and interpretation, because it is one of the most important tools since the sciences of Arabic language have a great value in analyzing the tests appears in the syntax, parsing, semantics, rehitoric and fugrative language.

مقدمة

إنّ لعلوم اللغة العربية دورًا كبيرًا في فهم النصوص القرآنية، إذ إنّ المعاني لا تتَّضح إلا من خلال تحديد وظيفةِ الكلمة في تركيب النصِّ، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، وكيفيتها من حيث المعنى المقصود ، والتقديمُ والتأخير، ومن حيث النواحي الجمالية فيه، وإنَّ أي تغيُّرٍ في شكل التركيب لا بد وأن يتبعَه تغيُّرٌ في المعنى المراد.

وهذا ما قرره عبدالقاهر الجُرجاني ، حيث يقول موضِّحًا العلاقةَ بين ترتيب الكلمات والمعاني في النفس: (وأما نظم الكلم، فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثارَ المعاني وترتِّبها على حسَب ترتيبِ المعاني في النَّفس، فهو إذن نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضه مع بعض، وليسَ هو النظمَ الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتَّفق.)[1]

وقد اهتمّ النحاة بالمعاني الدقيقة والبليغة للتَّراكيب، لأنَّ لكل تركيب دَلالةً دقيقة ناتجة عن تغيُّرِ صورة التركيب؛ مما يجعل لكلِّ تركيب استعمالاً لغويًّا معيَّنًا في مقام معين يختلف عن استعمال ما سواه من التراكيب؛ إذ إنَّ لكل تركيب معنًى له دلالته الخاصَّة يختارها البليغ بحسَب الأحوال، ففضيلة البيان لا تعود إلى اللَّفظ من حيث اللفظُ؛ وإنما تعود إلى النَّظم وترتيب الكلام وَفْقَ ترتيبِ معانيه في النفس.

وهذا التأمُّل الدقيق هو وظيفةُ محلِّل النص؛ إذ يجب عليه أن ينطلق من التَّراكيب النَّحْوية نحو المعاني الدقيقة والبلاغية لنصٍّ ما؛ مما يجعله يقف على سرِّ إبداع النص اللُّغوي.

وإذا كان النحو مليئًا بالأوجه النَّحوية الجائزة التي تُتيح لمنشئِ النص أن يأتيَ بصُوَرٍ عدة لتركيب معيَّن، عن طريق الحذف، والتقديم والتأخير، فإنَّ من الضروري الوقوفَ على دور المعنى في توجيه الأديب – شاعرًا كان أو ناثرًا – لاختيار وجه نحويٍّ معيَّن من بين عدة وجوه جائزة؛ نظرًا لانفراد هذا الوجه بفائدةٍ دلالية لا توجَد في الأوجه الأخرى.

وحتَّى تتضح قيمةُ النحو في تحليل النصوص، والوصول إلى ما فيها من دلالات عميقة بصورة أكبر، يمكن الاستشهادُ ببعض النصوص الأدبية الفصيحة، وعلى رأسها القرآنُ الكريمُ، وما استنبطَه العلماء من دَلالات ناتجة عن ترتيب الكلمات داخل هذه النُّصوص وَفْقًا لقواعد النحو؛ إذ إنّ هذا البحث يشتمل على السؤال الرئيس التالي:

هل لعلوم اللغة العربية دور في فهم النصوص القرآنية؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- أ- ما علوم اللغة العربية والتي لها دور في فهم النصوص القرآنية؟
- ب- ما دور كل علم من علوم اللغة العربية في فهم النصوص القرآنية؟
- ت- هل لعلوم اللغة العربية دور في فهم وتفسير النصوص القرآنية ؟
- ث- هل هنالك مؤلفات في علوم القرآن استثمرها مؤلفوها موظفين فيها اللغة العربية ؟

ما علوم اللغة العربية والتي لها دور في فهم النصوص القرآنية؟

من علوم اللغة العربية والتي لها دور في فهم النصوص القرآنية علم النحو، وعلم الصرف، وعلم اللغة، وعلم البلاغة؛ حيث إنّ لهذه العلوم دورًا كبيرًا وأثرًا بالغًا في فهم النصوص القرآنية؛ لأنه يستحيل علينا فهم نص قرآني دون فهمنا لعلوم العربية.

ما دور كل علم من علوم اللغة العربية في فهم النصوص القرآنية؟

أولاً:علم النحو:

إنّ لعلم النحو دورًا كبيرًا في فهم النصوص القرآنية؛ لأنّه هو الذي يفتق المعاني ويبيّنها ويوضحها ويجلّيها لنا، حيث يقول عبدالقاهر الجُرجاني: (الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه.)[2]

إذن لا بد من علم النحو في تجلية المعاني وتأويلها وتفسيرها، لأنّ مُنشئَ النصِّ يستخدم النحوَ لينتقي اختيار التركيب الذي يؤدّي المعنى الذي يريده، ويلائم السِّياقَ الذي يُورده فيه، فقد يكون هناك أكثرُ من تركيبٍ يؤدي معنى واحدًا، ولكن كلَّ تركيب يحمل دَلالة لا يحملُها غيرُه من التراكيب، وحينئذٍ لا بدَّ أن يختار مُنشئ النصِّ التركيبَ المناسب، مع عدم إغفالِ السياق؛ فقد يكون لتركيبٍ ما دلالة معيَّنة في سياقٍ ما، ثم يأتي التركيب نفسُه في سياق آخرَ حاملاً دَلالة أخرى، فدلالة التركيب الواحد تختلف من سياقٍ لآخر، فالأشكال النَّحوية لا يكون لها أهميَّة أسلوبية إلا حين تُربط بالسياق الذي توضع فيه، وذلك ما حدث في تأويل وتفسير وفهم قوله تعالى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾*الرحمن27*، حيث فسّر بعضهم الآية بأن الله يهلك ولا يبقى سوى وجهه،وجعلوا لله وجهًا، ويتحججون في ذلك بقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾*القصص88* ، وهم يقولون بأن القرآن يؤخذ بظاهره ولا يؤول، وهنا يدخل علم النحو حكمًا فصلاً بأن القرآن يؤول، لأن كلمة (ذو) صفة لوجه، وهي بمعنى صاحب، ولم تجيء صفة لكلمة (ربك) وإلا لكانت مجرورة بالياء (ذي) .فكلمة (ذو) دلت على صاحب راجعة للمولى عز وجل، وهنا كلمة (وجه) تعني وتؤول بـ (ذات) كما جاء في تفسير القرطبي، إذن علم النحو وعلم اللغة وضحا لنا فهم السياق القرآني، وتأويله وتفسيره، وجنّبانا من الوقوع في الشرك والضلال والتشبيه والتجسيد. قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية:(فالوجه عبارة عن وجوده وذاته.)[3] ، و قال السيوطي:(ويبقى وجه ربك، أي ذاته.)[4] ،وقال أبو عركي الشيخ عبدالقادر: (تفسير القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، قال ابن عباس ،رضي الله عنهما، الوجه عبارة عنه،وقال القرطبي:أي ويبقى الله؛ فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا.)[5]

قال الله تعالى:﴿ **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** ﴾*النساء92*

جاءت كلمة (مؤمنة) صفة لرقبة، لتدل أن كلمة (رقبة) تعني النفس المؤمنة، وليس رقبة الإنسان المعروفة، وهي التي جزء من الإنسان؛ وهنا جاء علم النحو حكمًا فصلا ليبين لنا أنّ كلمة (رقبة) هي النفس، ولتخرج كلمة رقبة من الجزء المعروف أعلى الإنسان، إلى الرقبة التي بمعنى النفس البشرية، وهنا كذلك يدخل علم البلاغة حكمًا فصلاً متمثلا في المجاز اللغوي ليبين لنا أن الله أطلق الجزء وأراد به الكل، على سبيل المجاز اللغوي والذي علاقته الجزئية.

قال تعالى:﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾*يوسف82*

فهذه الآية لا بد لها من تفسير وتأويل؛ لأنّ القرية والعير مما لا تسأل، لأنها غير عاقلة، وهنا يدخل علم النحو حكمًا فصلا ليبيّن لنا أن هنالك مضافًا محذوفًا، تقديره: وَاسْأَلِ أهلَ الْقَرْيَةِ، وأسأل أصحاب العيرِ، فلما حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه، وأخذ حكمه الإعرابي.

قال ابن مالك: وما يلي المضاف يأتي خلفًا * عنه في الإعراب إذا ما حذفا[6]

قال ابن عقيل:(يحذف المضاف لقيام قرينة تدل عليه، ويقام المضاف إليه مقامه، فيعرب بإعرابه.)[7]

قال السيوطي عن القرافي:(الحذف أربعة أقسام، قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد، نحو: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ، أي أهلها، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها.)[8]؛ وهنا كذلك يشترك علم النحو مع علم البلاغة في هذه الآية؛ ليبيِّنا لنا أن القرية لا تسأل، وإنما يُسأل أهلها، فدخل علم البلاغة من باب المجاز اللغوي ليوضح أنه أطلق المكان وأراد به الحال، على سبيل المجاز اللغوي والذي علاقته المحلية.ومثل قوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾*البقرة93*، والتقدير (حُبَّ العجلِ)، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وكقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾*الفجر22*، والتقدير: وجاء أمر ربك.

وقوله تعالى:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾*البقرة210* أي أمرُ اللهِ، أو عذابه.

وقوله تعالى:﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾*طه76*، أي مياهُ الأنهارِ.فهذه الآيات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وقال عبد المتعال الصعيدي:(وأدلة الحذف كثيرة، منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى:﴿حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير﴾، وقوله:﴿وحرمت عليكم أمهاتكم﴾، فإنّ العقل يدل على الحذف لما مر والمقصود الأظهر يرشدك إلى أنّ التقدير- حرم عليكم تناول الميتة، وحرم عليكم نكاح أمهاتكم، لأن الغرض من هذه الأشياء تناولها من النساء نكاحهنّ)[9]

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ *الرحمن78*

جاءت كلمة (ذي) مجرورة بالياء صفة لِ (ربك) ولم تجئ مرفوعة، لأنها لو جاءت مرفوعة، لكانت صفة لِ (اسم) والاسم لا يوصف، لأنه ليس من الذوات، فهذه إشارات نحوية ظاهرة. وقرأ عامر (ذو) بالواو على أنها مرفوعة صفة لِ (اسم)، وذلك من قبيل تقوية الاسم ؛ لكون الاسم هو المسمى، فكأنّ الاسم هو المسمى بعينه.

قال تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ *المدثر6*

جاءت تستكثر مرفوعة على أنها حال، والتقدير:لا تمنن مستكثرًا، والرفع في هذه الحالة أجود من الجزم ؛ لسقوط الفاء . ويرى الخليل في مثل هذه المسائل أنها رفعت بالصرف.أي الصرف من النصب إلى الرفع؛ لأنها في موضع الحال.ويجوز في هذه الحالة الجزم على الجواب، أو على البدل؛لأنه إذا سقطتِ الفاء وقُصِدَ الجزاء جزم الفعل المضارع.

قال الفراء:(ولو جزمه جازم على هذا المعنى كان صوابًا، والرفع وجه القراءة والعمل.)[10] ، ويجوز النصب وهي قراءة الأعمش:﴿ولا تمننْ تستكثرَ﴾.على إضمار (أن).وفي قراءة الحسن البصري: :﴿ولا تمننْ تستكثرْ﴾بالجزم بدلا من (تمنن)، كأنه قيل لا تر ماتعطيه كثيرًا، ويجوز أن يكون التسكين لتناسب رؤوس الآي، وهي:فأنذر، فكبِّر، فطهِّرْ، فاهجر[11]

قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾*البقرة282* ؛حيث جاء الفعل (يعلمُكم) مرفوعًا على أن الواو حرف استئناف، وأن الجملة استئنافية، ولذا جاء مرفوعاً حتى لا يشارك ما قبله في الحكم الإعرابي والدلالي إذا جاء مجزوماً أو منصوباً.

قال العكبري:(ويعلمكم الله مستأنف لا موضع له ، وقيل موضعه حال من الفاعل في اتقوا تقديره:واتقوا الله مضمونًا التعليم أو الهداية، ويجوز أن يكون حالاً مقدرة.)[12] ، ويجوز النصب على

جعل الواو للمعية، ويكون المعنى اتقوا الله مع تعليمه إياكم، ويجوز الجزم في جواب الأمر،وتقديره:إن تتقوا الله يعلمْكم الله.

قال تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾يس82

جاء الفعل (يكونُ) مرفوعًا على الاستئناف،وأنّ الفاء للاستئناف، حتى لا يشارك ما قبله في الحكم الدلالي والإعرابي؛ وذلك أن الله إذا أراد أمراً أن يقول له كنْ، أي اظهر فيظهر هذا الأمر في الوجود.وكان حق الفعل النصب (فيكونَ) على جعل الفاء سببية، ولكن لا يستقيم المعنى في حق الله تعالى؛ لأنّ قدرة الله ليست مربوطة بشرط.وكذلك لا يمكن أن نجعل الفاء عاطفة حتى لا تشارك ما قبلها في الحكم الدلالي والإعرابي؛ لأنه لو عطفنا لصار الفعل مجزوما (يكنْ) إذ لا يستقيم الكلام أن تقول:إنْ يكنْ يكنْ؛ لأن الأمر متى ما أمر به الله كان وظهر.

قال الصابوني:(إني لم أجد أحدًا من المفسرين . فيما رجعت إليه . قد تصدى لها، وأنا أرى أنها جملة حذف منها المبتدأ، فهي على نسق {يريد أن يُعربَهُ فيعجمُهُ }ونسق ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾آل عمران169

أي (فهو يعجمُهُ)، و(بل هم أحياء)، و(فهو يكونُ).)[13]

قال تعالى:﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ البقرة102

جاء الفعل مرفوعاً ليدل على أنّ الفاء للاستئناف، وأن الفعل مرفوعٌ على أن الجملة الفعلية (فيتعلمون) جملة استئنافية لا علاقة لها بما قبلها من الحكم الدلالي والإعرابي.ولا يجوز الجزم في هذه الحالة إذا جعلنا الفاء عاطفة؛ لأنه لا يستقيم المعنى، إذ لا يصح أن تقول:إلا تكفرْ يتعلموا.إذ إنّ تعليم الشياطين السحر للبشر هو الكفر بعينه.مثاله قولك:لا تدنُ من الأسدِ فيأكُلُك برفع الفعل (يأكُلُك) فلا يجوز جزم الفعل على العطف؛ لأنه لايستقيم المعنى ،إذ لا يصح أن تقول:إلا تدنُ من الأسد يأكلْك.ففي هذه الحالة يتوجب الرفع.ولم يأت الفعل (يأكلك) منصوبًا على جعل الفاء للسببية؛ لأنه لا يجتمع الكفر مع العلم. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

ألم تسألِ الربعَ القواء فينطقُ * وهلْ يُخبرنْكَ اليومَ بيداء سملقُ[14]

فقد جاء الفعل (ينطق) مرفوعاً على الاستئناف، والفاء حرف استئناف، وهو منقطع المعنى عمّا قبله؛ حتى لا يشارك ما قبله في الحكم الدلالي والإعرابي.ولم يجئ الفعل (ينطق) مجزوماً فتكون الفاء عاطفة؛ وذلك حتى لا يشاركه في الحكم الدلالي والإعرابي ؛ لأنه لايستقيم المعنى، إذ لا يصح أن تقول:إلا تسألِ الربع ينطقْ.وكذلك لم يجئ الفعل (ينطق) منصوباً على أن الفاء للسببية،إذ لايستقيم المعنى كذلك؛لأنه لا يجتمع سؤال الربع مع النطق في آن واحدٍ.

قال الزجاجي: (فرفع [ينطق] كأنه قال :فهو ينطق)، ولم يجعله جوابًا.)[15]

وقال ابن هشام: (وذلك لأن الفاء لو كانت عاطفة لجزم ما بعدها، ولو كانت للسببية انتصب ما بعدها، فلمّا ارتفع دلَّ على أنها للاستئناف.)[16]

قال تعالى:﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾الأحزاب32

جاء الفعل (يطمع) منصوباً بأن مضمرة وجوباً الواقعة بعد فاء السببية؛ ليدل على عدم عطف الجواب على ما قبله؛ لأنه لا يجوز الجزم على جعل الفاء عاطفة، وذلك لاستحالة المعنى؛ لأنّ المعنى لا يستقيم، وذلك عدم الخضوع مع طمع القلب

المريض، إذ لا يصح أن تقول:إلا تخضعن بالقول يطمعْ الذي في قلبه مرض، فليس هنالك خضوع حتى يطمع من في قلبه مرض.ولا يجوز الرفع على جعل الفاء استئنافية؛ وذلك لتعلق الجواب بما قبله؛ لأنه لا يستقيم الكلام إذا صارت الجملة استئنافية.قال الزجاجي: (وجميع ما ينصب من الجوابات بالفاء والواو و[أو]، فإنما ينتصب لمخالفة الثاني الأول، وأنه لا يمكن عطفه عليه.)[17]

وجاء في الحديث الشريف **{ لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ}**[18]

جاء الفعل (تختلفَ) منصوبًا بأن مضمرة وجوبًا بعد فاء السببية؛ ليدل على عدم عطف الفعل على ما قبله؛ وذلك لمخالفة الجواب للشرط؛ لأنه لا يجتمع عدم الاختلاف مع اختلاف القلوب، إذ إنّ اختلاف القلوب مرتبط باختلاف الناس.

ولا يجوز العطف على جعل الفاء عاطفة؛ لاستحالة المعنى؛ لعدم اجتماع عدم الاختلاف واختلاف القلوب، إذ لا يصح أن تقول:إلا تختلفوا تختلفْ قلوبكم. ولا يجوز الرفع على جعل الفاء استئنافية؛ وجعل الجملة منقطعة عمّا قبله؛ لارتباط المعنى بما قبلها؛ ومنه قول الشاعر: **لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأْتيَ مثلَهُ * عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ**[19]

جاء الفعل (تأتيَ) منصوباً بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية؛ لعدم عطفه على ما قبله، إذ لا يعقل اجتماع نهيك للخلق المذموم مع فعلك إياه والاتيان به؛ ولا يجوز العطف على جعل الواو عاطفة؛ وذلك لعدم اجتماع النهي للخلق الذميم والاتيان بمثله؛ إذ لا يستقيم الكلام إن قلتَ:إلّا تنهَ عن خلق تأتِ بمثله.

ولا يجوز الر فع على جعل الواو استئنافية؛ وذلك لتعلق الفعل (تأتي) بما قبله، ولا يمكن الانفصال عنه وجعله جملة مستأنفة له حكم ومعنى قائم بذاته، وكأنك قلت:لاتنهَ عن خلق ذميم، ثم قلت:والاتيان بالخلق الذميم عار، إذ لا يستقيم المعنى.

ويجوز الرفع والنصب والجزم في قولك:**لا تأكلِ السمكَ وتشربُ اللبن**

فإن رفعتَ قلتَ:(لا تأكلِ السمكَ وتشربُ اللبنَ) جعلت الواو استئنافية، وتكون قد نهيتَ عن أكل السمك وأمرتَ بشرب الحليب. وإنْ نصبت قلت (لا تأكلِ السمكَ وتشربَ الحليبَ) جعلت الواو للمعية ونصبت الفعل (تشربَ) بأن مضمرة وجوبًا بعد واو المعية، وتكون قد نهيت عن أكل السمك مع شرب اللبن، أي عدم الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن لما فيه من الضرر. وإن جزمتَ قلتَ: (لا تأكلِ السمكَ وتشربِ اللبنَ) على جعل الواو حرف عطف، وكأنك قلت: لا تأكلِ السمكَ ولا تشربِ اللبنَ.أي تكون قد نهيت عن أكل السمك، وعن شرب اللبن.

قال تعالى:﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴾*الإسراء22*

جاء الفعل (تَقْعُدَ) منصوباً بأن مضمرة وجوباً الواقعة بعد فاء السببية؛ ليدل على عدم عطف الجواب على ما قبله؛ وذلك لاستحالة المعنى؛ لعدم اجتماع عدم جعل إلهًا آخر مع الله والقعود مذمومًا مخذولا.

ولا يجوز الجزم على جعل الفاء عاطفة؛ لأنه لا يستقيم المعنى، وهو عدم اجتماع عدم جعل إله آخر مع الله والقعود مذمومًا مخذولا، إذ لا يصح أن تقول:إلّا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ تَقْعُدْ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً.

ولا يجوز الرفع على جعل الفاء استئنافية، لارتباط المعنى بما قبله.

ثانيًا: علم البلاغة

علم البلاغة هو تأدية المعاني بعبارات جليلة واضحة، وهو علم يختص بمطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ولن يطابق الحال إلا إذاكان الكلام وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البيان وقوة المنطق.

قال تعالى:﴿ **فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾*آل عمران107* ، فالرحمة هي الجنة التي تحل فيها الرحمة، وفي الآية مجاز علاقته الحالية، لأنه أطلق الحال وأراد المحل، وهي الجنة؛ لأن الخلود يحتاج إلى مكان وهو الجنة، وهو شيء حسيّ، والرحمة شيء معنوي، فلا بد من إعمال العقل والفكر في فهم مثل هذه الآيات، وهذا يتطلب من الإنسان ذوقًا بلاغيًّا وفنيًا حتى يدرك هذه المعاني وهذه الجماليات.

قال الصابوني:(لم نقصر الحلاوة على الشعر ونحرمها من النثر!الفن جمال فحيثما لاح لك فالتمس عنده حاجتك، فإلى هذا سلك القرآن وبه أخذ، وإليه سلك الفصحاء من الشعراء والناثرين وبه أخذوا، ..... فالتمس لنفسك ما هيأنا لك بعضه، ولا تتعلل منه بعلل أخرى، فإنك إن فعلت نبا عنك الذوق، وضللت مع الذين لا يحسون ولا يلتمسون.)[20]

وقال تعالى:﴿ **إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً**﴾*يوسف36*

الخمر ليس مما يعصر، ولكن الذي يعصر هو العنب والتمر، وهذا الشيء سيتم في المستقبل وليس في الحال، فهذه الآية لا بد لها من تأويل وتفسير لفهما؛ وإلا لو أخذنا بظاهرها لكان المعصور في الآية هو الخمر نفسه،وهذا الشيء هو غير المقصود في الآية، والذي كان يعصر هو العنب، فيدخل علم البلاغة حمكًا فصلاً ليبين لنا أن الله أطلق اعتبار ما كان وأراد ما يكون على سبيل المجاز اللغوي والذي علاقته اعتبار ما يكون .

قال أحمد الهاشمي:(واعتبار ما يكون هو النظر إلى المستقبل، وذلك فيما أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى:﴿ إِنِّيَ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾، أي عصيرًا يؤوول أمره إلى خمر، لأنه حال عصره لا يكون خمرًا)[21]

وقال تعالى:﴿ **ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا**﴾*نوح27*، فالإنسان لا يولد فاجرًا كفّارًا، وإنما بعد أن يكبر يصبح فاجرًا كفارًا، وهذا مجاز لغوي علاقته اعتبار ما يكون.

وقال تعالى: ﴿ **وءاتوا اليتامى أموالهم**﴾، فاليتيم لا يؤتى مال ورثته إلا بعد سن الرشد، وهنا مجاز لغوي علاقته اعتبار ما يكون. ومثال اعتبار ما كان قولك: شربتُ البن، وأنت تريد القهوة، لأن البن لم يصر قهوة بعد، على سبيل المجاز اللغوي الذي علاقته اعتبار ما كان، ومثله: لبستُ القطن.

وقال تعالى:﴿ **يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ** ﴾*البقرة19*

حيث أطلق الأصابع وأراد الجزء منها، وهما السبّابتان اللتان يضعهما الإنسان في أذنيه عندما يسمع صوتًا مدويًّا، وهنا العلاقة كلية، لأنه أطلق الكل وأراد الجزء.

و قال تعالى:﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾*الإسراء24*

ليس للذل جناح، وإنما شبه الذلّ بطائر له جناح بجامع الخضوع، واستعار الطائر للذل، ثم حذف المشبه به (الطائر) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح، على سبيل الاستعارة المكنية.

و قال تعالى:﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾*مريم4*، حيث شبه الرأس بالفحم الذي يشتعل، واستعار الرأس للاشتعال، ثم حذف المشبه به ،وهو الفحم والحطب، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اشتعل)، على سبيل الاستعارة المكنية.

و قال تعالى:﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾*الأحزاب43*

شبه الكفر بالظلمات، والإسلام بالنور ، ثم حذف المشبه في كلٍّ، وصرح بلفظ المشبه به، وهما الظلمات والنور، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ثالثًا: علم اللغة

علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة من حيث النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، وهو يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقة معانيها، ويقتصر على وصفها وتحليلها بطريقة موضوعية.

قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾*القلم42*

وردت كلمة (ساق) وهي عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها، وليست مقصود منها الساق العضو المعروف.قال ابن جني:(ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) أنها ساق ربهم – نعوذ بالله من ضعفة النظر، وفساد المعتبر – ولم يشكّوا أنّ هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء، كانت لا محالة جسمًا مُعضًّى على ما يشاهدون من خلقه عز وجهه، وعلا قدره.)[22]

لأنه إذا جعلوا لله ساقًا دخلوا حيز التشبيه والتجسيد، والله منزه عن ذلك، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾*الشورى11* ؛ وهذا راجع إلى ضعفهم باللغة، وعدم تمكنهم منها، وليس لديهم أدنى ذوق لغوي.

قال ابن جني: (ولوكان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة، أو تصرّف فيها، أو مزاولة لها، لحمتهم السعادة بها ما أصارتهم الشِقوة إليه بالبعد عنها.)[23]

قال تعالى:﴿ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾*الزمر56*، الجنب قرب الشيء، نحو قوله تعالى:﴿ دَعَانَا لِجَنبِهِ ﴾*يونس12*، أي مضطجعاً على صفحته وشقه، ولكن المقصود هنا ليس المراد المعنى الحسي، وإنما مراد به المعنى المعنوي الذي فيما بينه وبين الله من الواجبات التي فرضها عليه وتركها وضيعها، والآن يتحسر على فواتها.

قال تعالى: ﴿ **فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ** ﴾*البقرة115*، ليس المقصود هنا بكلمة (وجه) العضو المعروف، لأن الله ليس له وجه كوجوه الخلائق، وإنما المقصود به قبلته التي رضيها لعباده، والتوجه والاتجاه إليه.

قال الشاعر: أستغفر الله ذنبًا لست محصيَه * ربّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ[24]

قال ابن جني: (هذه اللغة أكثرها جارٍ على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة، فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحائها، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعاداتهم في استعمالها.)[25]

وقال تعالى: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾*طه39*، وليس المقصود بكلمة (عين) الجارحة المعروفة، وإنما المقصود منها في الآية أن تربى على رعايتي وحفظي لك.

وقال تعالى: ﴿ **وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾*الزمر67*، ليس المقصود بكلمة (يمين) اليد المعروفة، وإنما المقصود منها قدرته.

وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾يس71 ، ليس المقصود بكلمة (أيدي) اليد المعروفة، وإنما المقصود منها يد القدرة والقوة.

فالذين يفسرون القرآن على هواهم، ويأخذونه على ظاهرة بعيدًا عن اللغة، إنما دعاهم ذلك ضعف النظر،و فساد المعتبر.

قال ابن جني:(أكثر من ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافة بها.)[26]

رابعًا: علم الصرف

علم الصرف علم يختص بأبنية الكلمات ومعرفة الزائد منها والأصلي، وتحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها؛ ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً** ﴾*آل عمران37*

وقال تعالى:﴿ **وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً** ﴾*نوح17*

نلاحظ في الآيتين مجيء المصدر (نباتًا) على غير الفعل الرباعي أنبت إنباتاً، وإنما جاء من الفعل الثلاثي:نبت ينبُت نباتًا، نحو قوله تعالى:﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ﴾النبأ15، وقد جاء الفعل (أنبت) متضمنًا معنى الفعل استخرج، لأن كليهما فعلان لازمان. وفي رأيي أنّ نباتًا حال وليس مصدرًا ميميًا؛ لأن المولى عز وجل بمقدوره أن يقول:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ إِنْبَاتاً﴾، وهو مصدر أنبت إنباتا، ولكن هنا جاء بمصدر الفعل الثلاثي (نبت) ليوضح لنا هنا هيئة إنبات الإنسان وخلقه وهو يشبه النبات في القيام والإنشاء والخلق والنمو، وليس المقصود في الآية تأكيد الإنبات بالمصدر الحقيقي (الإنبات) أو المصدر الميمي (النبات)؛ لأن هذا الشيء مؤكد ومفرغ منه؛ وإنما أراد الله أن يبيّن لنا خلقنا ونمونا وقيامنا على وجه هذه الأرض، وأنه مثل النبات الذي ينبت من الأرض.فالنبات ينبت من الأرض والإنسان مخلوق من الأرض، وهو التراب والطين كلكم لآدم وآدم خلق من تراب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾*المؤمنون12*، وقال:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾*فاطر11* ، وقال:﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾*السجدة 7- 9*

فكلٌّ من النبات والإنسان ينبتان من الأرض، وينموان فيها، وهذا هو وجه الشبه والاختلاف بين النبات والإنبات، والله أعلم. وقال القرطبي في تفسير الآية:﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ ونَباتاً مصدر على غير المصدر، لأن مصدره أنبت إنباتا، فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر.)[27] حيث جعل (أنبت) بمعنى (نبت) أي تضمن أنبت معنى نبت. ويمكن أن نقول بأن الفعل (أنبت) المتعدي جاء متضمنا معنى الفعل (نبت) اللازم، لأن الإنسان ينبت مثل النبات في خلقه، وهو شبيه بالنبات الذي ينمو على الأرض. وقد جاء الفعل (أنبت) في غير هذه الآية لازمًا، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾*آل عمران37*، ولم تأت الآية (وأنبتها إنباتًا)؛ وكلها جاءت على مصدر الفعل الثلاثي (نبت نباتًا)، نحو قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ﴾*النبأ15*

قال تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾القصص23

جاء الفعل (يُصدر) مضموم الأول دلالة على أنه فعل رباعيّ، من أصدر الشيء إذا صرفه ورجع به وجاء الفعل هنا مضموم الأول ليدل على أنّه رباعيًا، وأنه من أصدر الشيء، وأنّ الفعل صار متعديًّا بعد أن كان لازماً،ليبيّن أنّ المفعول محذوف، وتقديره :حتى (يُصدر) أي يُرجع الرعاءُ مواشيهم و إبلهم و دوابّهم.

فإذا جاء الفعل مفتوح الأول، أي من الثلاثي (صدر) لكان المعني :حتى يَرجعُ الرعاءُ، ولكن المعنى منصرف نحو المواشي والدواب وهي المعنية بذلك، وذلك لكثرتها وكثرة ازدحامها عند البئر، وليس المعني هم الرعاء أنفسهم، لأنّ الرعاء لا يَرجعون أنفسهم، وإنما يَرجعون من سقيهم بمواشيهم ودوابهم، وهذا ما يبينه قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾*الزلزلة6* ، حيث جاء الفعل مفتوح الأول ليدل على أن الفعل المضارع من الثلاثي (صَدر) بمعنى رجع وانصرف، أي ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ ﴾ أي ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتاً﴾ متفرقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاءهم من الجنة أو النار.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّار﴾ *الممتحنة10*

نلاحظ في هذه الآية أنّ الفعلَ (ترجعوهن) فعل مضارع ماضيه الثلاثي (رَجع)، ولكن إذا نظرنا إلى المعنى القرآني نجد أن (رجع) جاء متضمنًا معنى الفعل (ردّ)، لأن الفعل (رجع) الثلاثي فعل لازم، وإذا أصبح متعديًا فينبغي أن يكون الفعل رباعيًّا من الفعل (أرجعَ) يُرجِعُ إرجاعًا؛لأن المعنى يقتضى ذلك؛ ولأن الله طلب منا بألا نُرجع المؤمنات إلى الكفار إذا علمنا بإيمانهنّ، فالرجوع يتم بواسطة المؤمنين، وليس بواسطة المؤمنات أنفسهنّ، لأنه لو كان كذلك لكانت الآية (فلا يَرجعْنَ إلى الكفار)، ولكن جاءت الآية ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّار ﴾، فجاء الفعل(رَجَعَ) لازمًا يتضمن معنى الفعل (ردّ) اللازم، لأن الفعل اللازم قاصرٌ يكتفي بمرفوعه، ولا يصل إلى المفعول بنفسه إلا بواسطة.ولذا جاء الفعل هنا لازمًا من الثلاثي ومتعديًّا إلى المفعول، وهو الضمير الهاء الدال على النسوة في الفعل (ترجعوهَنَّ)؛ ولذا تضمن الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي.

هل لعلوم اللغة العربية دور في فهم وتفسير النصوص القرآنية ؟

لعلوم اللغة العربية دور في فهم وتفسير النصوص القرآنية، فقد اشترط العلماء في المفسّر معرفة النّحو، إذ جعلوا علوم اللغة والنّحو والصرف والبلاغة من أبرز العلوم التي يحتاج إليها المفسّر، لأنها تعين على فهم وتأويل النص القرآني، لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب.

قال الزركشي: (التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنّحو والتصريف وعلم البيان.)[28]

وقال السيوطي عن الذي يريد تفسير القرآن:(يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، مثل اللغة التي يعرف بها شرح مفردات الألفاظ مدلولاتها، والنحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، والتصريف لأنه به تعرف الأبنية والصيغ والمعاني والبيان والبديع)[29] ، وقال:(القرآن إنما نزل حجة على الخلق، فلو لم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك لجاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره، وأما من لم يعرف وجوه اللغة، فلا يجوز أن يفسره.)[30] ، وقد قال عن أبي حيّان:(التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول)[31] ؛ إذن علم النّحو يعد من مصادر التفسير ، ووسيلة لفهم كتاب الله، واستخراج معانيه وأحكامه.

وانظر إلى الأعرابي الذي قدم المدينة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). فقال من يقرئني شيئا مما أنزل الله على محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: (أَنّ اللهَ برِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) *التوبة3* بالجر، فقال الأعرابي: أوقد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ الخبر عمر (رضي الله عنه) مقالة الأعرابي، فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، وتلا عليه:﴿أَنّ اللهَ برِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾ فقلت: أوقد برئ الله تعالى من رسوله؟! إن يكن بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فقال له عمر (رضي الله عنه): ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال:﴿ أَنّ اللهَ برِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ *التوبة3*، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ اللهُ ورسولُه منه. فأمر عمر (رضي الله عنه) ألا يُقرِئ القرآن إلا عالم باللغة. فانظر إلى هذا الأعرابي، وكيف كان له حسٌّ نحويٌّ جعله يفسر القرآن ويفهمه حسب القراءة الخاطئة؟وكيف فهم الآية بعد أن تُليت عليه صحيحة؟ فهذا اللحن النحوي حدا بعمر بن

الخطاب (رضي الله عنه) ألّا يُقرِئ القرآن إلا عالم باللغة، خوفًا على كتاب الله من هذه الظاهرة المستنكرة، حيث دعت الحاجة إلى وضع كليّات وقوانين تحكم اللسان، وتصون القرآن من ظاهرة اللّحن التي قد تحرّف دلالة النّص القرآني، لأنّ تسرّبها إلى قراءة القرآن خطر عظيم، فغدت الحاجة ماسة إلى وضع قوانين ترد الألسنة التي اعوجت إلى اللسان العربي المستقيم، وهذا مما حدا بعلماء اللغة إلى وضع قواعد للغة العربية لفهم النصوص القرآنية، إذكان الأوائل لا يحتاجون إلى كثير من هذه العلوم، فالقرآن نزل بلغتهم، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه حتى قال بعضهم:ولست بنحوي يلوك لسانه * ولكنْ سليقيٌّ أقولُ فأعربُ[32]

وعليه فقد احتيج إلى علم النّحو في التفسير بعد فساد الألسنة، وذلك حاصل لاختلاط العجم بالعرب، ودخول الأجناس كافة في دين الله أفواجا.

وقد جاءت كلمة (رسولُهُ) في الآية بالرفع ، لتدل على أنّ (رسوله) معطوف على محل إنّ واسمها، لأنّ محلها الرفع على الابتداء، فيجوز العطف على محل إنّ واسمها بعد استكمال الخبر.

قال ابن مالك: وجائز رفعك معطوفاً على * منصوب (إنّ) بعد أن تستكملا[33]

ويجوز أن تكون (ورسولُه) جملة استئنافية مبتدأ وخبره محذوف يفسره ما قبله؛ والتقدير(ورسولُه بريءٌ من المشركين). وهذا واضح من المعنى ،لأنك لو جعلتها مكسورة معطوفة على ما قبلها لصار اللهُ متبرئاً من رسوله، وهذا مستحيل في جناب الحق على حبيبه المصطفى.

والذين قرأوا بالكسر جعلوه على سبيل القسم، أي أنّ الله أقسم برسوله كما أقسم بالليل والضحى والشمس وغيرها.وقد جوّز أبو البركات الأنباري القراءة على الكسر على أنّه مقسم به ؛حيث قال:(بجر رسوله، الجر فيه على القسم، ولا يجوز أن يكون على العطف؛ لاستحالة المعنى.)[34]

هل توجد مؤلفات في القرآن الكريم وعلومه استثمرها مؤلفوها موظفين فيها اللغة العربية ؟

توجد مؤلفات تعمد إلى الكلام على لغة القرآن الكريم، وبيان وجوه إعرابه، والوقوف عند مشكله وتجلية معانيه، وترتبط بما يُشْكِل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، فهذه المؤلفات تمثل صورة من صور التفسير اللّغوي، وقد كثر المؤلفون في هذا الميدان من المتقدمين، وهنالك مؤلفات كثيرة في علوم القرآن استثمرها مؤلفوها بتوظيف اللغة العربية لها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تفسير البحر المحيط لأبي حيّان، وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، وتفسير البغوي، وتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (794هـ)، والدر المنثور في التفسير المأثور، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي(911هـ) ، ومعاني القرآن للفراء(207هـ)، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبدالباقي، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للآلوسي(1270هـ) ، وإملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري (616هـ)، وفي إعجاز القرآن للرماني(384هـ) ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209), و إعراب القرآن لابن النحاس (338هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (311هـ)، وغيرها من المصنفات والمؤلفات في مجال علوم القرآن الكريم والحديث الشريف.

الخلاصة

إنّ لعلوم الغة العربية فوائد عظيمة في فهم النصوص القرآنية؛ فلولاها لما استطعنا فهمها؛ لأننا بالنحو نعرف معاني العبارات، و باللغة نفهم دلالات الكلمات، وبالصرف نعرف أبنية الكلمات، وبالبلاغة نتذوق وجوه الجمال في سياق التراكيب و العبارات.

فاللغة العربية خير استثمار للإنسان في كثير من المجالات، وخاصة في مجال القرآن الكريم وعلومه، وفي الحديث الشريف.

النتائج والتوصيات:

أولا: النتائـج:

1- استحالة فهم النصوص القرآنية دون معرفة علوم اللغة العربية

2-تعلُّم علوم اللغة العربية سبيلٌ لربط أبناء الأمة الإسلامية بتراثها الإسلامي والعربي

3-علوم اللغة العربية سبيل لفهم النصوص العربية الفصيحة، وبالأخص القرآنُ الكريم، والحديثُ الشريف، وهو صلة بيننا وبين تراثنا العربي؛ حتى نحافظ على سلامة وحياة اللغة العربية؛ لأنَّ حياة اللغة وبقاءها متوقِّفان على بقاء خصائصها التَّركيبية ونظمها وقوانينها.

4- علوم اللغة العربية تتيح للقارئ فهم ما تشتمل عليه النُّصوص الأدبية الفصيحة – وعلى رأسها القرآنُ الكريم – من لطائفَ ودقائق، لا يستطيع أن يصل إليها القارئ العاديُّ الذي لا يهتمُّ بها.

5- علوم اللغة والنّحو والصرف والبلاغة، من أبرز العلوم التي يحتاج إليها المفسّر، لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب.

ثانيًا: التوصيات:

1- وجوب الاهتمام بالاستثمار في اللغة العربية، وخاصة في علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف.

2- وجوب تعلم علوم اللغة العربية، وخاصة علم النحو لأهميته؛ لأنه يصون لسانَ المتكلِّم عن الخطأ، و يُعينه على الإبداع في كتاباته وفهمه للتراكيب المختلفة.

3- تطبيق مثل هذه الدراسة في مراحل التعليم المتقدمة

4- عمل منهج دراسي يشمل هذه الجوانب في آيات التفسير.

5- إجراء مزيد من البحوث في هذا الصدد.

فهرست المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*ابن جني، ابن جني . الخصائص . عالم الكتب . بيروت . لبنان . الطبعة الثالثة . 1403هـ . 1983م.

*ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، طبعة 1422هـ - 2001م . تحقيق.محمد محي الدين عبد الحميد

* ابن هشام، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الإدارة العامة للجامع الأزهر، مصر، (د.ت)

*ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى، ، دار المعرفة ، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة1419هـ -1998م، تحقيق/محمد خير طعيمة

* أبو عركي الشيخ عبدالقادر، التفويض والتأويل للمتشابه عند السلف والخلف، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، السودان،2010م

* أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط12،(د.ت)

* الأنباري، منثور الفوائد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ،1983م . تحقيق.د/ حاتم صالح الضامن.

* الزجاجي .كتاب الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية1405هـ . 1985م،

تحقيق.د/ علي توفيق الحمد

* الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان الطبعة : الأولى ، 1376 هـ - 1957 م

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

*السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1418هـ- 1998م . تحقيق/محمد حسن إسماعيل الشافعي.

* السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان،1973م

* الصابوني ، اللباب في النحو، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، طبعة 1973م.

* عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1982

* عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر، (د.ت)

* العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1399هـ . 1979م.

* الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1403هـ . 1983م.

* القرطبي، تفسير القرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، (د.ت)

* النووي، رياض الصالحين، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1404هـ . 1984م.

الهوامـش

(1) دلائل الإعجاز، ص40

(2) المرجع السابق نفسه، ص 24

(3) انظر تفسير القرطبي، سورة الرحمن (تفسير الآية)

(4) الإتقان في علوم القرآن36/2

(5) التفويض والتأويل للمتشابه عند السلف والخلف،ص88

(6)انظر شرح ابن عقيل71/2

(7)المرجع السابق نفسه71/2

(8)الإتقان في علوم القرآن40/2

(9)بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح 131/2

(10) معاني القرآن للفراء 201/3

(11)اقطر الندى وبل الصدى، ص68

(12) إملاء ما منّ به الرحمن121/1

(13) اللباب في النحو ص283

(14) شواهد اللباب في النحو ص106، وكتاب الجمل في النحو ص194، وشذور الذهب ص 300

(15)كتاب الجمل في النحو ص 194

(16) شرح شذور الذهب ص 301

(17)كتاب الجمل في النحو ص 384

(18)أخرجه أبو داؤود . رياض الصالحين ص 384

(19) انظر شذور الذهب ص 312، وشرح ابن عقيل 325/2

(20)اللباب في النحو، ص328

(21) جواهر البلاغة والأدب، ص294

(22)الخصائص246/3

(23)المرجع السابق نفسه246/3

(24)الكتاب17/1، والخصائص247/3

(25) الخصائص247/3

(26)المرجع السابق نفسه245/3

(27) انظر تفسير القرطبي305/18

(28)البرهان في علوم القرآن13/1

(29)الإتقان في علوم القرآن181/2

(30)المرجع السابق نفسه180/2

(31)الاقتراح في علم أصول النحو ص47

(32)الواضح في علم الصرف ص220، وشذا لعرف في فن الصرف، ص122

(33) انظر شرح ابن عقيل 344/1

(34)منثور الفوائد، ص 64